

عناصر الاستقلال .. !

[مهذبة إلى شباب العرب]

(لأستاذ فاضل)

→→→→→

ليست هناك فكرة جليلة لدى الأمة وفريق من خاصتها ،
عن الاستقلال الحقيقي ؛ بل إنهم يفهمون من - الاستقلال -
الاستقلال السياسي لحسب ! وقليلون أولئك الذين يفهمون
الاستقلال على حقيقته ، والعلّة في ذلك قلة ما صدر حتى اليوم من
الكتب التي تعالج القضية الوطنية ، على أنها معدودة الشمول ،
أو سطحية الخ .

والاستقلال بمفهومه العام يقوم على أركان ثلاثة أساسية ،
وفقدان أحدهما يهدّد ثلثاً في الاستقلال ، إذ يؤثر على الآخرين .
وإذا كنا لا نفيده كثيراً من المفاضلة بينها إلا أنه يهمننا أن نقرر
أن كلا من هذه الأركان خطير الأهمية .

وبعد ، فما هي عناصر الاستقلال وأركانها التي يقوم عليها ؟
هذه الأركان ثلاثة هي :

الاستقلال السياسي .

الاستقلال الاقتصادي .

الاستقلال الفكري .

ولا يعزب عن البال أن العرب حتى اليوم لم يعيروا الركبتين
الأخيرتين ما يستاهلانه من العناية والاهتمام . ولعلّ مرد ذلك
إلى أن الأجنبي هو الذي حال دون ذلك حتى اليوم .

كذلك لا يعزب عن البال ما للركن الثالث من أهمية (خاصة)
لأن علاقتنا مع (أجنبي) جنّي (ويجيني) فوائد عظيمة من تلم
الاستقلال الفكري ، بل هذا هو سلاحه الفتاك ، أعني
« الدعاية » بمفهومها الواسع التي توفر عليه إراقة الدماء وسرّ
المناء ، مما لم يُثبت أجنبي غيره قدرته على الاستفادة من هذا
السلاح ...

ولما أصبح مفهوم الاستقلال السياسي وقضية الحرية من
البدائنه التي لا يختلف فيها اثنان فسوف نقصر كلامنا على الركبتين
الأخيرتين ، إجمالاً .

أولاً : ما هو الاستقلال الاقتصادي وأهميته وأثره ؟

هو أن يكون للبلد زراعة ثم صناعة ثم تجارة مزدهرة ،
بحيث يكون ميزانه التجاري وميزانه الحساب سليمين ، فلا يعتمد
في شيء من حاجاته على بلدٍ أجنبي ما لم ينتج ما يسدّ النقص .
وعلى ضوء هذا التعريف البسيط الموجز تتساءل هل نحن
مستقلون اقتصادياً ؟؟ الحق أننا لم نجتز بعد الخطوة الأولى في
مضمار التقدم الاقتصادي ، وما زال مستعبدين اقتصادياً ، فكثير
من الشاريع المنتجة العظيمة في بلاد العرب ، تُستغلّ برؤوس
أموال أجنبية ولا يصيبنا منها إلا نصيب الأيتام على مأدبة اللثام !
ولم تنب بعد من الأذهان والحواطر تلك الحالة الاقتصادية
البائسة التي فرضت علينا طيلة الحرب العالمية الثانية ، وما زال ،
حيث تمكن الأجنبي من تحطيم كيان العرب الاقتصادي
بين عشية وضحاها ، فأحصى علينا حركاتنا وسكناتنا ،
ووقمنا تحت رحمة أسارى ، وازدهرت الأندية والملاهي
والخلعة ... وسهل عليه أن يستعمل جيشاً لجباً من رجالنا ...
كترزقة ... !! الخ ... الخ ... الخ ...

(وأنتي لنا جلدًا رقيقًا وأعظما) أورثنا الطبلاوى افندى (١)
هذا الحيوان الذي أنخيله وحشاً يخرب ويدمر ... ويتلع الأخضر
واليابس ... وأورثنا التضخم النقدي ... وسرق الرغيف منا
سراً وعلانية ، وابتلع نتاج أرضنا من بتول ومعدن ... وذهبت
الدماء التي أريقت منا هباءً مثنوراً ... ولئن عادت تلك الظروف
عدنا نحن والهنود وغيرهم ... نذبح الثمن !!!

إذن ما زال تحت رحمة ، ولم نخط خطوات محسوسة في
سبيل الاستقلال الاقتصادي ، وهذا يعني - وهو حقيقة مرّة -
أن الوضع الحاضر المقيت سيمتد إلى أجل غير مسمى في بلاد
العرب ... وسيبقى الاستقلال السياسي - إذا أتمناه -
عديم الفائدة .

ثانياً : ما هو الاستقلال الفكري وأهميته ؟؟

هو الانجرى وراء الآخرين بل تجاريهم في كل شيء !
هو ألا نصدق بكل ما يرد إلى بلادنا من أفكار ومذاهب
وآراء على علائها .

هو ألا نشعر بأننا قاصرون ، وأقل جدارة ، وأحط أهلية

(١) ثرى الحرب كما ينهته لأستاذ الكبير الزيات